

دار الشروق

علم النفس



د. عبد الله شحاتة

عِلْمُ النَّفْسِ

طبعة دار الشروق الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

© دار الشروق

أسسها محمد العتلم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيدي بويه المصري -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٩٩
فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

د. عبد الله شحاتة

علم النفس

دار الشروق

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إن الحمد لله نستعينه ونستهديه ونسأله الهدى والرشاد والتوفيق والسداد ﴿مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧) .

أما بعد:

فهذه دراسة محررة عن التفسير وعلومه حاولت أن أستفيد فيها من دراسة الأئمة السابقين والعلماء الباحثين الذين أبلوا بلاء حسنا وتركوا من خلفهم ثروة علمية هائلة ، وكنوزا ثقافية زاخرة .

وكان قصارى جهدي أنني درست هذا التراث وعرفت به في أسلوب ميسر أمل أن يستفيد به القارئ، والراغب في دراسة القرآن وعلومه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د. عبد الله شحاته

القرآن والتفسير

أنزل الله القرآن بلسان عربي مبين، وجعله مصدرا للهداية وناموسا للفلاح والرشاد، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة: ١٥، ١٦). وقد جدت في أيامنا عوامل متعددة جعلت كثيرين منا، يتطلعون إلى حياة أفضل، ويتلمسون سبل الإصلاح، وميادين التقدم والازدهار، ونرى أن نهضة المسلمين لا تكون صحيحة عن تجربة، ولا سهلة متيسرة، ولا رائعة مدهشة، إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن، ونظمه الحكيم التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري.

وبدهي أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه، عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه المعجز وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن. «وهو ما نسميه بعلم التفسير».

خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي، وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب أنفسهم.

فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس، وتكريم الإنسان.

ويدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر، مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن، وتوافروا على قراءته، كل يوم ألف مرة بجميع وجوهه التي نزل عليها.

وهنا نلمح السر في تأخر المسلمين في هذا الزمن على رغم وفرة المصاحف في أيديهم ، ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانيهم ، وعلى رغم كثرة عددهم ، واتساع بلادهم ، في حين أن سلفنا الصالح نجحوا بهذا القرآن نجاحاً مدهشاً ، كان وما زال موضوع إعجاب التاريخ والمؤرخين . مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قلة من العدد ، وضيق من الأرض ، وخشونة من العيش ، ومع أن نسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم ، ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة .

أجل إن السر في ذلك هو أنهم توافروا على دراسة القرآن ، واستخراج كنوز هدايته ، يستعينون على هذه الثقافة العليا بمواهبهم الفطرية ، وملكاتهم السليمة العربية من ناحية ، وبما يشرح رسول الله ﷺ ، ويبيئه لهم بأقواله وأعماله وأخلاقه وسائر أحواله من ناحية أخرى .

وعلى ذلك كان همهم الأول هو القرآن الكريم يتلونه ويفهمونه قبل أن يحفظوه ، ثم يعملون بتعاليمه بدقة ويهتدون بهديه في يقظة بهذا وحده صفت أرواحهم ، وطهرت نفوسهم ، وعظمت آثارهم ، لأن الروح الإنساني هو أقوى شيء في هذا الوجود . فمتى صُفِيَ وَهُدِّبَ ، وحسن توجيه وتعليمه ، أتى بالعجب العجيب .

وكذلك أتت الأمة الإسلامية بالعجائب في الهداية والإرشاد وإنقاذ العالم وإصلاح البشر ، وكتب الله لهم النصر والتأييد ، حتى على أقوى الدول المعادية لدعوة الحق والإصلاح في ذلك العهد : دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان في الغرب .

أما غالب المسلمين اليوم . فقد اكتفوا من القرآن بالفاظ يرددونها . وأنغام يلحنونها ، في المآتم والمقابر والدور . وبمصاحف يحملونها أو يودعونها بركة في البيوت . ونسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره وتفهمه ، وفي الجلوس إليه والاستفادة من هديه وآدابه ، ثم في الوقوف عند أوامره ومراضيه ، والبعد عن مساخطه ونواهيه والله تعالى يقول : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص : ٢٩) ويقول سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد : ٢٤) ويقول جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر : ١٧) .

فما أشبه المسلمين اليوم بالعطشان يموت من الظمأ والماء بين يديه ، أو بالخيران يمد يده ليقترض من الآخرين ، ورصيده كاف لو مد يده إليه .

ألا إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، وهو أن يعودوا إلى كتاب الله يستهلمونه الرشد ، ويستمنحونه الهدى ، ويتدبرون هدايته وينبعثون مع روحه العامة ، وأهدافه السامية ، وآفاقه العالية فالقرآن روح وحياة وبعث وإصلاح ، وقد أحيا نفوس المسلمين الأولين ، وأعلى هممهم وهذب أخلاقهم ، وأرشدهم إلى الانتفاع بقوى الكون ومنافعه . وكان من وراء ذلك أن مهروا في العلوم والفنون والصناعات . كما مهروا في الأخلاق والآداب والإصلاح والإرشاد ، ووصلوا إلى غاية بزوا فيها كل أمم الدنيا . حتى قال بعض فلاسفة الغرب في كتابه (تطور الأمم) ما نصه : (إن ملكة الفنون لا تستحكم في أمة من الأمم إلا في ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضرمة ، وجيل الاستقلال . وشذ العرب وحدهم فاستحكمت فيهم ملكة الفنون في جيل واحد) .

أنواع التفسير:

ينقسم التفسير إلى نوعين على وجه الإجمال (أحدهما) تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم ، من نكات بلاغية وإشارات فنية ، وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير وبيان مراد الله من هداياته .

(النوع الثاني) تفسير يجاوز هذه الحدود ، ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن ، وتعاليم القرآن ، وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن ، على وجه يجتذب الأرواح ، ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله . وهذا هو الخلق باسم التفسير وفائدة هذا التفسير هي التذكر والاعتبار ، ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، ليفوز الأفراد والجماعات بخير الدنيا والآخرة .

التفسير والتأويل

التفسير في اللغة الإيضاح والتبيين ومنه قوله تعالى:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣) أي بياناً وتفصيلاً والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

وقال بعضهم التفسير في الاصطلاح: علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفصلها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها^(١).

التأويل:

والتأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية. قال صاحب القاموس: (أول الكلام تأويلاً وتأوله: دبره وقدره وفسره).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل، معناه في جميعها البيان والكشف والإيضاح. أما التأويل في اصطلاح المفسرين فقد تعددت أقوال العلماء فيه، فبعضهم يرى أن التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه، فالتأويل والتفسير على هذا متقاربان ومترادفان، ومنه دعوة رسول الله ﷺ لا بن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١٧٤/٢.

وبعضهم يرى أن التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية . وقال قوم : ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا؛ لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم^(١).

وقيل التفسير : أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومفرداتها، والتأويل : أكثر ما يستعمل في المعاني والجمل .

وقيل التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة وقد اشتهر هذا عند المتأخرين قال الألويسي : (كل ما قيل مما ذكرنا وما لم نذكر مخالف للعرف اليوم . إذ قد تعورف عند المؤلفين من غير نكير أن التأويل معان قدسية، ومعارف ربانية، تهمل من سحب الغيب على قلوب العارفين . والتفسير غير ذلك) اهـ . فأنت ترى أنه جعل التأويل خاصاً بما كان مأخوذاً بالإشارة أي الفقه والفهم للمعاني البعيدة أو قراءة ما بين السطور ومعرفة ما تشير إليه الآيات - أما التفسير فإنه خاص بما كان مفهوماً بطريق العبارة أي الشرح والإيضاح لمدلول ألفاظ القرآن الكريم .

ونحن نميل إلى ترجيح القول القائل بأن التفسير ما كان راجعا إلى الرواية والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية .

لأن التفسير معناه الكشف والبيان واعتماد ذلك على الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة، أما التأويل فملحوظ فيه الاجتهاد في ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل وبذل الجهد في استنباط المعاني من الكتاب العزيز .

وبعبارة أخرى أكثر اعتماد التفسير على النقل، وأكثر اعتماد التأويل على العقل .

وحين نفسر القرآن، فلا غنى لنا عن الاعتماد على النقل والعقل كلاهما .

(١) الإتيان ٢ / ١٧٣ .

الفصل الأول

تاريخ التفسير

- ١- التفسير في عهد النبي ﷺ .
- ٢- التفسير في عهد الصحابة .
- ٣- التفسير في عهد التابعين .
- ٤- التفسير في عهد تابعي التابعين .
- ٥- تفسير ابن جرير الطبري .
- ٦- التفسير النقلي والعقلي .
- ٧- التفسير بين القديم والحديث .
- ٨- الإمام محمد عبده .
- ٩- تفسير المنار .
- ١٠- منهج الإمام محمد عبده في التفسير .

١- التفسير في عهد النبي ﷺ

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه، ويدركون أغراضه ومرامييه، وإن تفاوتوا في هذا الفهم والإدراك، تبعاً لاختلاف درجاتهم العلمية، ومواهبهم العقلية، ولعل ابن خلدون كان مبالغاً حين ذهب إلى أن الصحابة جميعاً كانوا في فهمه سواء^(١)، فقد قال ابن قتيبة، وهو ممن تقدم على ابن خلدون ببضعة قرون: (إن العرب لا تستوى في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض)^(٢).

وقال مسروق: «جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذا^(٣). فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذا^(٤)».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم، إذا أشكل عليهم معنى من معاني القرآن، لجئوا إلى رسول الله ﷺ فيوضحه لهم، وبينه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

فمن ذلك ما رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال: «لما نزلت الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢) شق ذلك على الناس

(١) المقدمة ص ٤٨٩.

(٢) ابن قتيبة المسائل والأجوبة ص ٨.

(٣) الإخاذا جمع إخاذا وهي كالغدير يجتمع فيه الماء، وجمع الإخاذا أخذ مثل كتاب وكتب، (صحاح الجوهري ٢/ ٥٦٠).

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ١٠٥.

فقالوا: يارسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم؟ إنما هو الشرك».

وما رواه الترمذي وابن حبان، أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة الوسطى صلاة العصر».

وما أخرجه مسلم أن رسول الله ﷺ قال:- وهو على المنبر - «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا وإن القوة الرمي.

وما أخرجه الترمذي.. أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر. وأن كلمة التقوى^(١) هي لا إله إلا الله.

وما أخرجه أحمد ومسلم عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة»^(٢).

وغير هذا كثير مما صح عن رسول الله ﷺ.

«وفي صحيح البخاري كتابان هما: كتاب تفسير القرآن وكتاب فضائل القرآن، يشغلان حيزاً واضحاً من الكتاب ربما كان نحو الثمن منه»^(٣).

وقد اختلف العلماء في المقدار الذي بينه النبي ﷺ لأصحابه من القرآن.

فمنهم من ذهب إلى أنه بين لأصحابه كل معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه^(٤).

ومنهم من ذهب إلى أنه لم يبين لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل^(٥) وقد استدل كل فريق لرأيه بعدد من الأدلة^(٦).

(١) في قوله تعالى: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

(٢) الإتيقان ١٩١/٢ - ٢٠٥.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة تفسير: ٣٤٩/٥ (تعليق الأستاذ أمين الخولي).

(٤) ابن تيمية مقدمة في أصول التفسير ص ٥.

(٥) الإتيقان ١٧٩/٢.

(٦) الإتيقان ٢٠٥/٢ وفي أدلة الفريق الآخر انظر القرطبي ٣١/١ والإتيقان: ١٧٤-٢.

والحق أن رسول الله ﷺ بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء: ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته.

قال ابن عباس: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله»^(١).

ولعل الروعة الدينية لهذا العهد، والمستوى العقلي لأهله، ووضوح حاجات حياتهم العملية، وتطبيق الرسول ﷺ للقرآن تطبيقاً عملياً في حياته، حتى قالت عائشة: كان خلقه القرآن، كل هذا جعل حاجتهم إلى التفسير غير كبيرة، خصوصاً أنهم كانوا يعيشون في معاني القرآن، ويتسابقون إلى العمل بآياته قبل أن يحفظوا الجديد منها، إلى جوار بيان الرسول ﷺ لمجمل القرآن، وتوضيحه لمشكله، وتخصيصه لعامه، وتقييده لمطلقه، فمن ذلك بيانه لمواقيت الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وكيفيةها، وبيانه لمقادير الزكاة وأوقاتها وأنواعها، وبيانه لمناسك الحج.

فكان القدوة الحسنة في السلوك القرآني، والتطبيق العملي لأوامر القرآن، ولذا ورد في الحديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

ومن توضيح المشكل: تفسيره ﷺ للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٢) بأنه بياض النهار وسواد الليل.

ومن تقييد المطلق، تقييده السيد باليمين في قوله تعالى: ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة: ٣٨).

وكان ﷺ يبين لهم معاني القرآن وأهدافه، وروحه العامة، في سفره وإقامته،

(١) تفسير ابن جرير الطبري: ٢٥/١

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧.

وحربه وسلمه، وغزوه وجهاده، حتى قال يحيى بن كثير: السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة، وعن الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل، وقد سئل عن قول يحيى هذا، فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكني أقول: إن السنة تفسر الكتاب وتبينه.

٢- التفسير في عهد الصحابة

كان القرآن هو المرجع الأول للمسلمين في ذلك العصر أيضا، يقرءونه في صلاتهم، ويهدرون به في غزوهم ويرتلونه في قيام ليلهم.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله ﷺ، رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم، وساعدهم على التفسير، أنهم عرب خلص، يعرفون معاني اللغة وأسرارها، وأنهم عاشوا فترة نزول الوحي مع النبي، فعرفوا أسباب النزول، وأدركوا ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات تعين على فهم كثير من الآيات، لهذا قال الواحدي: «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها».

غير أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متفاوتين في قدرتهم على تفسير القرآن، تبعا لمقدار سماعهم للتفسير من رسول الله ولقدار ما شاهدوا من أسباب النزول، ولمدى ما فتح الله عليهم من طريق الرأي والاجتهاد، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

قال السيوطي في الإتقان: «ولقد اشتهر بالتفسير من الصحابة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير».

وهناك من تكلم من الصحابة في التفسير كأبي هريرة (ت ٥٧ هـ) وجابر بن عبد الله (ت ٧٤ هـ) وعبد الله بن عمر (ت ٧٣ هـ) وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٣ هـ) وأنس بن مالك (ت ٩١ هـ)، غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جدا بالنسبة للعشرة الذين ذكرهم السيوطي.

وأكثر من روى عنهم من هؤلاء العشرة، أربعة هم: عبد الله بن عباس، عبد الله ابن مسعود، ثم علي بن أبي طالب، ثم أبي بن كعب، رضي الله عنهم جميعاً.

٣- التفسير في عهد التابعين

لم يدون التفسير في عهد الصحابة، لقرب العهد برسول الله ﷺ، ولقلة الاختلاف والتمكن من الرجوع إلى الثقات.

فلما انقضى عصر الصحابة أو كاد، وصار الأمر إلى تابعيهم، انتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة في الأقطار، وحدثت الفتن واختلفت الآراء، وكثرت الفتاوي والرجوع إلى الكبراء، فأخذوا في تدوين الحديث والفقہ وعلوم القرآن^(١).

فأول ما دونوه من العلوم التفسير، ومن أقدم التفاسير تفسير أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت ٩٠ هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠١ هـ) ثم تفسير عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ) ثم تفسير محمد بن كعب القرظي (ت ١١٧ هـ)^(٢).

وقد انقسمت جماعة المفسرين إلى ثلاث مدارس:

الأولى: مفسرو مكة المكرمة، وهم تلاميذ عبد الله بن عباس.

والثانية: مفسرو الكوفة، وهم تلاميذ عبد الله بن مسعود.

(١) حاجي خليفة ١/٣٣.

(٢) حاجي خليفة ١/٤٢٧.

والثالثة : مفسرو المدينة ، وهم أصحاب زيد بن أسلم العدوي .

وإذا قارنا بين التفسير في عهد الصحابة ، والتفسير في عهد التابعين خرجنا بالنتائج الآتية :

(أ) التفسير في عهد الصحابة :

- ١ - لم يفسر القرآن جميعه إنما فسر ما غمض منه .
- ٢ - قلة الاختلاف في فهم معاني القرآن .
- ٣ - الاكتفاء بالمعاني الإجمالية للآيات .
- ٤ - قلة الخلاف المذهبي حول الآيات .
- ٥ - لم يدون التفسير .
- ٦ - اتخذ التفسير شكل الحديث .
- ٧ - قلة الرجوع إلى أهل الكتاب .

(ب) التفسير في عهد التابعين :

- ١ - ظهرت تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن .
- ٢ - زاد الخلاف نسبيًا في فهم معاني القرآن عما كان في عصر الصحابة .
- ٣ - ظهر تفسير لكل آية ولكل لفظة .
- ٤ - زاد الخلاف المذهبي حول الآيات مثل تفسير قتادة والحسن البصري حول القدرة .
- ٥ - دون التفسير .
- ٦ - استقل التفسير في كتب مستقلة وإن ظل في شكل رواية الحديث .
- ٧ - كثر الرجوع إلى أهل الكتاب ودخل في التفسير كثير من الإسرائيليات وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وتساهل التابعين في الاستماع إليهم .

ابتداء التدوين في عصر التابعين :

ابتدأ في هذا العصر تدوين التفسير والتصنيف فيه . وأول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي بالولاء ، ولي بني والبة بن

الحارث بطن من بني أسد بن خزيمية المتوفي سنة ٩٥هـ، قتله الحجاج، وكان أعلم التابعين في التفسير. نص على ذلك قتادة وحكاه السيوطي في الإتيان، كما نسب تدوين التفسير إلى مجاهد قال ابن أبي مليكة: «رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كله»^(١).

وتميزت في عصر التابعين أيضاً ثلاث مدارس في التفسير:

١ - مدرسة مكة، وأصحابها تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهم ومنهم:

أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المتوفي سنة ١٠١هـ، حكى عن نفسه أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وقد اعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري.

وعكرمة مولى ابن عباس المتوفي سنة ١٠٥هـ.

وطاووس بن كيسان اليماني المتوفي بمكة سنة ١٠٦هـ.

وعطاء بن أبي رباح المكي المتوفي سنة ١١٤هـ.

٢ - ومدرسة العراق، وأصحابها تلاميذ ابن مسعود ومنهم:

مسروق بن الأجدع الكوفي المتوفي سنة ٦٣هـ^(٢). والأسود بن يزيد المتوفي سنة ٧٥هـ.

وعلقمة بن قيس المتوفي سنة ١٠٢هـ.

وعامر الشعبي المتوفي سنة ١٠٥هـ.

وقتادة بن دعامة السدوسي البصري المتوفي سنة ١٧٧هـ.

والحسن البصري المتوفي سنة ١٢١هـ.

(١) ابن جرير الطبري. تفسير ٣٠/١

(٢) انظر تهذيب التهذيب ١٠/١٠٩ - ١١١.